قالت العرب

إن هذه الكناسة مهلكة دنياكم وآخرتكم – يعني الشهوات وما يأكلونه

أبو هريرة

المشهد

العدد 342 - السنة الرابعة عشر ـ 6 أكتوبر 2025 - 14 ربيع الثانى 1447هـ

ستولتنبرج: ترامب يحملنى مسؤولية تفكك حلف الأطلنطى

الرئيس الأمريكي: الولايات المتحدة لن تستمر فى كونها عضوا فى «الناتو» إلا إذا دفعت ألمانيا والولايات المتحدة نفس المبلغ

«ثلاثة مليارات دولار لمبنى كهذا! إنه أمر سخيف! الولايات المتحدة تدفع! إنه مبنى جميل، لكن طلقة واحدة من دبابة سينهار هذا المبنى»

فى يوم جمعة من صيف عام ٢٠١٨، قبل أسبوعين من قمة الناتو فى بروكسل، كان من المقرر أن أتحدث مع ترامب هاتفيًا. كانت المكالمة بناءً على طلبه، ولأننا التقينا مؤخرًا فى واشنطن، لم يكن واضحًا سبب طلبه التحدث معى مجددًا.

بدأ ترامب يُخبرنى عن روعة الأمور فى الولايات المتحدة. كان الاقتصاد فى أوج ازدهاره، رغم أنه سُلِّمَ بلدًا مُدمَّرًا. لكنه لم يتصل بى للتفاخر. كانَ الإنفاق الدفاعي، وتقاسم العبء المالى بين الدول الأعضاء فى حلف الناتو، هو ما أراد التحدث عنه حقًا.

ألمانيا تدفع ١٪! إنه لأمر صادم. ووفقًا له، كانت ميركل فى ورطة.

أخبرتْ ترامب أنها تعمل على زيادة ميزانية الدفاع الألمانية، لكن كزعيمة حكومة ائتلافية، لم يكن من السهل دائمًا التوصل إلى توافق. قاطعنى ترامب قائلا: «الهجرة هى المشكلة الكبرى. لقد كان قرارًا سيئًا». كان يشير إلى جميع اللاجئين الذين فروا إلى ألمانيا خلال أزمة اللاجئين فى أوروبا.

ثم عاد إلى ميزانيات الدفاع. كانت إسبانيا تُنفق أقل من ١% من الناتج المحلى الإجمالى على الدفاع. وكان ملك إسبانيا فيليبى السادس قد قام للتو بزيارة دولة إلى واشنطن، واستُقبل فى البيت الأبيض. كانوا هنا وقالوا: شكرًا لكم على الحماية العسكرية. لكن اقتصاد إسبانيا جيد. هذا ظلم كبير.

كان ترامب قد التقى ميركل مؤخرًا أيضًا، وأخبرها أن الأمور لا يمكن أن تستمر على هذا النحو. «قلتُ: أنجيلا، عليكِ أن تدفعي. عليكِ إنفاق ٢٪.» قالت: «ربما فى عام ٢٠٣٠» – وضحكت وهى تقول ذلك... ضحكت!»

قال إن الولايات المتحدة تُنفق ٤% من ناتجها المحلى الإجمالى على الدفاع، وتُغطى ٨٠–٩٠% من نفقات حلف الناتو. وأضاف: «ولن نفعل ذلك بعد الآن. سندفع ما تدفعه ألمانيا».

فى نهاية المكالمة، كان تحذير ترامب واضحًا: «انظروا، إذا غادرنا، فسنغادر. أنتم بحاجة ماسة إلى الناتو. لسنا بحاجة إلى الناتو».

إذا انسحبت الولايات المتحدة، فسيكون التحالف قد انتهى. لقد حمّلنى ترامب مسؤولية احتمال تفككه. أراد منى تصحيح الأمور قبل القمة، التى كانت على بُعد ١٢ يومًا.

«قال ترامب خلال القمة التى عقدت فى بروكسل فى ١٢ يوليو ٢٠١٨: «الاتحاد الأوروبى مهم، ولكنه أهم بكثير لأوروبا منه للولايات المتحدة. لقد جاء الرؤساء الأمريكيون إلى هنا وكرروا هذا الكلام لسنوات. ثم عادوا إلى ديارهم ولم يحدث شيء. لقد ازداد الأمر سوءًا. أكنّ احترامًا كبيرًا لأنجيلا. وُلد والدى فى ألمانيا، ووُلدت والدتى فى اسكتلندا. لذا، فأنا جزء من الاتحاد الأوروبي. لكن يجب أن يتوقف هذا».

بعض ما قاله كان تحذيرات واضحة. «الولايات المتحدة لا تحتاج إلى حلف الناتو. لماذا أستمر فى دفع تكاليف هذه المنظمة وأنا لست بحاجة إليها؟»

ساد الصمت حول الطاولة. واصل ترامب حديثه مطولاً عن اختلال الميزان التجارى مع الاتحاد الأوروبي، وهو موضوعٌ آخر يُثير اهتمامه. «يُرسل الاتحاد الأوروبى سياراته من طراز بى إم دبليو ومرسيدس إلى الولايات المتحدة، معفاةً تقريبًا من الرسوم الجمركية. لا يُمكن الاستمرار على هذا النحو. لن يستمر على هذا النحو.»

ثم جاءت المزيد من الانتقادات لأوروبا. قال ترامب: «الحدود التى لديكم مُريعة. قالت أنجيلا إن العديد من الأشخاص الذين يتدفقون هم من الشباب. هذا لا يبدو جيدًا. قد يكونون أعداء». وأضاف: «أكنّ احترامًا كبيرًا لأوروبا. وأكنّ احترامًا كبيرًا للأمين العام، الذى نجح فى جمع المزيد من الأموال. لكنها قليلة جدًا مقارنةً بما نحتاجه... عليكم أن تدفعوا حصتكم. يُمكن أن تدفع أنجيلا ٢% اليوم، لو أرادت! بدلًا من ذلك، تقول ١,٥% بحلول عام ٢٠٢٥!»

كرر ترامب: «علينا أن نتحدث عن هذا الآن. وإلا – كما تعلمون، وإلا فلن نكون أصدقاء».

ثم انتقل ترامب إلى الحلفاء الآخرين. «لا أريد أن يغادر الناس هذا الاجتماع وهم يقولون إن الجميع سعداء. أنا لست سعيدًا. كان بإمكانكم إسعادي. عندما لا تدفع دولة غنية، فذلك لأنهم يحاولون خداعنا، كما خدعوا كل رئيس منذ ريغان. عليكم أن تدفعوا. ٢% قليل جدًا. إنها مزحة! عليكم أن تستهدفوا ٤% إذا كنتم تريدون حماية مناسبة. إما أن تدفعوا ٢% فورًا، أو بحلول الأول من يناير. وإلا، فسنفعل ما يحلو لنا. ليس لدينا خيار. وكما تعلمون، أنا حقًا أختلف مع هذا المبنى. ثلاثة مليارات دولار لمبنى كهذا! إنه أمر سخيف! الولايات المتحدة تدفع! إنه مبنى جميل، لكن طلقة واحدة من دبابة سينهار هذا المبنى.»

عندما انتهى ترامب من حديثه، نهضت أنجيلا ميركل ، ودارت حول طاولة الاجتماع الكبيرة، وانحنت فوقي. همست: «علينا الرد على هذا. لا يمكننا أن ندعه يمر هكذا». كان من الواضح أنها تخشى أن يخرج الاجتماع عن السيطرة. أومأت برأسي.

أخذنا استراحة لبضع دقائق. تشاورتُ مع أنجيلا ميركل وإيمانويل ماكرون ورئيس الوزراء الهولندى مارك روته فى زاوية، بينما جلس ترامب قريبًا، عاقدًا ذراعيه، يتحدث مع مستشاره الأمنى جون بولتون ووزير الخارجية مايك بومبيو . اتفقنا على استحالة تغيير هدف الـ ٢%، لكننا ناقشنا أفضل السبل للتعامل مع الوضع وتهدئة الرئيس. كما تواصل فريقى مع زملائي، سعيًا لإيجاد حل للمضى قدمًا.

عند استئناف الاجتماع، كرّر ترامب مطالبته بوعود فورية بزيادة الإنفاق. وقال: «علينا أن نتحدث عن هذا الآن. وإلا – كما تعلمون، وإلا فلن نكون أصدقاء».

ثم، أخيرا، جاءت اللحظة التى كنت أخشاها منذ محادثتنا قبل اثنى عشر يوما، عندما قال ترامب إن الولايات المتحدة لن تستمر فى كونها عضوا فى حلف شمال الأطلسى إلا إذا دفعت ألمانيا والولايات المتحدة نفس المبلغ.

قال ترامب: «سأغادر هذا الاجتماع. لا داعى لوجودى هنا بعد الآن».

الآن، كل شيء سينهار، فكرتُ. نظرتُ فى أرجاء الغرفة. كانت تعابير وجه جميع القادة جامدة. أدرك الجميع أن الأمور على وشك الانهيار – القمة بأكملها، وكل إعلانات الاتفاق. إذا أعلن رئيس أمريكى أنه لم يعد يرغب فى الدفاع عن الحلفاء الآخرين وغادر قمة الناتو احتجاجًا، فإن معاهدة الناتو وضماناتها الأمنية لا قيمة لهما.

ربما يكون هذا الاجتماع هو الذى يُدمر الناتو، هكذا فكرت. وهذا يحدث الآن تحت إشرافي. لقد نجح التحالف فى العمل لمدة ٧٠ عامًا – ولكن ليس بعد ١٢ يوليو ٢٠١٨.

أعربت أنجيلا ميركل عما يدور فى أذهان الكثيرين، قائلة: «علينا أن ننقل هذا الأمر إلى برلماناتنا وجمعياتنا الوطنية. لسنا قادرين على اتخاذ القرارات هنا. سأكافح جاهدةً لتحقيق هدف الـ ٢% بحلول عام ٢٠٢٤. لكننى ببساطة لا أملك الأغلبية الكافية لأى شيء أكثر من ذلك فى الوقت الحالي».

ثم فعل ترامب شيئًا نادرًا ما يحدث فى مثل هذه الاجتماعات. قاطع رئيس حكومة آخر قائلا: «هذا طويل جدًا، طويل جدًا جدًا».

لكن ميركل واصلت حديثها، مستخدمةً عبارةً كثيراً ما سمعناها من ترامب: «لا بد لى من القول إننى لا أشعر بمعاملة عادلة هنا. أنت تتحدث بصراحة يا دونالد، لذا سأفعل الشيء نفسه. ألمانيا هى ثانى أكبر مساهم بقوات فى حلف الناتو. أحداث الحادى عشر من سبتمبر وأفغانستان هما المرتان الوحيدتان اللتان استُخدمت فيهما المادة الخامسة. لقد ساهم هذا فى حماية الولايات المتحدة، على الرغم من المعارضة الشديدة فى بلدي، حيث تساءل الكثيرون عن علاقة أفغانستان بنا. بإمكان ألمانيا بذل المزيد من الجهد، وربما يمكننا القيام بالأمور بشكل أفضل. لكن الآن يجب علينا الالتزام بالالتزامات التى قطعناها على أنفسنا».

اتفق الجميع على أن الدول الأعضاء ستزيد ميزانياتها الدفاعية إلى ٢% من الناتج المحلى الإجمالي. لكن المشكلة تكمن فى إصرار ترامب على تحقيق ذلك هذا العام. حددت الدول الأخرى هدفًا لتحقيقه فى عام ٢٠٢٤، وهو ما تم اعتماده أيضًا فى إعلان القمة فى اليوم السابق.

عاد ترامب للحديث، مُسهبًا فى الحديث عن نسبة إنفاق كل دولة عضو على الدفاع من الناتج المحلى الإجمالي، كما لو كان يُعلن نتائج مسابقة الأغنية الأوروبية. قال وهو يُحدّق بعينيه فى القائد المعني: «بلجيكا: ٠,٩%. هذا أقل من ١%. كرواتيا – يا إلهي، أنا مُحبطٌ منك للغاية، لا أُصدّق ذلك: ١,٢٦%. لا بدّ أنك تشعرين بالسوء». «إستونيا: ٢%. شكرًا لكَ! فرنسا: ١,٧٩%. ليس سيئًا يا إيمانويل. ليس سيئًا بالنسبة لك. لم تكن رئيسًا لفترة كافية، ومن المُرجّح أن ينخفض أداؤك. ألمانيا: ١,٢%. هيا يا أنجيلا! هيا!»

ثم تابع. حتى قال أخيرًا: «المملكة المتحدة: ٢.١٪. شكرًا لك. هذا جيد جدًا. الولايات المتحدة: ٤.٢٪ من أكبر ناتج محلى إجمالى على الإطلاق. لذا يُمكنكم وصفنا بالحمقى. لكننى لم أحضر هذه الحفلة منذ فترة طويلة. يا له من غباء! هذا كل شيء.»

انحنى نحو رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماى وقال شيئًا. ثم التفت إلى رجب طيب أردوغان ، رئيس تركيا، الجالس على جانبه الآخر، وصافحه بحرارة.

تحدث العديد من القادة الآخرين. تعاطف بعضهم مع طلب ترامب بزيادة الإنفاق فورًا، بينما كان آخرون متحفظين مثل ميركل وماكرون.

ثم أعطيت الكلمة لمارك روته. لم يكن هذا صدفة. التقينا على الغداء فى لاهاى قبل أسبوع من القمة، حيث ناقشنا كيفية دفع ترامب لدعم حلف الناتو، بما فى ذلك الإشارة إلى زيادة الإنفاق الدفاعى بمقدار ٣٣ مليار دولار.

قال روته: «سيدى الرئيس، لقد حققتنا على إنفاق المزيد، وأنا أتفق معك. وهذا بالضبط ما نفعله. فى العام الماضي، أنفقنا ٣٣ مليار دولار إضافية على الدفاع بفضل قيادتك. لذا، فهذه أخبار سارة لك.»

أعجب ترامب بهذا. ثلاثة وثلاثون مليارًا. أومأ برأسه.

بعد برهة، أخرج قلم التحديد الأسود السميك الذى اعتاد استخدامه، ودوّن شيئًا على ورقة، ثم ناولنى إياها. كان خطه أنيقًا وجذابًا. كتب فى المذكرة: «سيدى الأمين العام، إذا كان بإمكانك القول إن حلفاء الناتو قد زادوا إنفاقهم الدفاعى بشكل ملحوظ بفضلي، فأعتقد أننا نستطيع الاتفاق».

أتيحت لى أخيرًا فرصةٌ لإتمام الاجتماع. فأخذتُ الكلمة بنفسي.

فى المؤتمر الصحفى الذى أعقب الاجتماع، سأؤكد أن حلفاء الناتو قد زادوا إنفاقهم الدفاعى بشكل ملحوظ بفضل قيادة الرئيس ترامب ورسالته الواضحة، كما قلتُ، وكأننى أقرأ مباشرة من مذكرته. ثم أضفتُ: «وفى الوقت نفسه، لا تزال جميع الدول الأعضاء ملتزمة بحلف الناتو والمادة الخامسة من المعاهدة».

كنتُ آمل، رغم كل أمل، أن يكون هذا كافيًا لاختتام الاجتماع بطريقة مقبولة للجميع. لكن المشكلة كانت أنه لا يزال هناك ١٢ قائدًا على قائمة المتحدثين. لو سمحتُ ببدء النقاش من جديد، لبدا من المرجح جدًا أن يقول أحدهم على الأقل شيئًا يُغضب ترامب، مُسببًا انهيار الإجماع الهش. لذلك، نظرتُ متوسلًا حول الطاولة، إلى ميركل، وماكرون، وماي، وترودو، وأردوغان، وجميع الآخرين، واقترحتُ أمرًا غير مألوف تمامًا – أن نتحرك لوقف النقاش الآن، مع تأييد الجميع لخلاصتى المقترحة. سألتُ: «هل يمكننا الاتفاق؟»

كانت هناك إيماءات حول الطاولة، وظننتُ للحظة أن اليوم وحلف الناتو قد أُنقذا. لكن لا. رفع لارس لوك راسموسن، رئيس وزراء الدنمارك، يده مُعلنًا أنه لن يسحب اسمه من قائمة المتحدثين.

بدأ لوك راسموسن، وهو دانماركى مرح وبسيط، أعجبتُ به كثيرًا، حديثه بحذر، متحدثًا عن أهمية وحدتنا فى الأوقات الصعبة، ومؤكدًا على أهمية تقاسم العبء المالى بإنصاف. ثم حدّق فى ترامب وتوقف قليلًا. «لكن تقاسم العبء لا يقتصر على المال يا سيدى الرئيس، بل يتعلق بالدماء والتضحيات. الدنمارك بلد لا يتجاوز عدد سكانه خمسة ملايين نسمة، وقد فقدنا ٤٥ جنديًا فى أفغانستان ردًا على هجوم على الولايات المتحدة.»

من الواضح أنه قد طفح الكيل. ارتجف صوته وهو يقول: «من حيث عدد السكان، فقدت الدنمارك جنودًا فى أفغانستان أكثر من الولايات المتحدة». رفض أن ينظر فى عيون عائلاتهم ويقول إن حياة أحبائهم أقل أهمية لأن الدنمارك لم تحقق هدف الـ ٢٪.

ذكّرتنى هذه الحلقة بمشهد من فيلم «الحب الحقيقي» ، حيث يقف هيو غرانت، رئيس الوزراء البريطاني، فى وجه الرئيس الأمريكي. لكن هذا لم يكن فيلمًا، بل واقع. أدركتُ أن السماح للوكى راسموسن بالكلام كان صائبًا. مع ذلك، حبستُ أنفاسى عندما انتهى.

التزم ترامب الصمت. أدرك الجميع أنهم فى اجتماع تاريخي، ورغب العديد من القادة فى المشاركة فى الحدث بالتحدث، لكننى لم أسمح لهم بالكلام. انتهى الاجتماع.

عقد ترامب مؤتمره الصحفى مباشرةً بعد ذلك. وقال: «التزام الولايات المتحدة تجاه الناتو قويٌ للغاية، ويظل كذلك، ولكن فى المقام الأول لأن الجميع – الروح المعنوية التى يتحلون بها، ومقدار الأموال التى يرغبون فى إنفاقها، والأموال الإضافية التى سيقدمونها – كان أمرًا مذهلًا حقًا. إن رؤية مستوى الروح المعنوية فى تلك القاعة أمرٌ لا يُصدق».

كما تطرق إلى مبلغ الـ ٣٣ مليار دولار، قائلاً: «سينفق الحلفاء ٣٣ مليار دولار إضافية على الأقل، بالإضافة إلى ما اتفقنا عليه سابقًا. نحن أكثر اتحادًا من أى وقت مضى. لا مشكلة».

حتى يومنا هذا، ما زلتُ مندهشًا من قبول ترامب لنتائج القمة. لو نفّذ تهديده بالانسحاب احتجاجًا، لكنا تُركنا لنلملم شتات حلف الناتو المنهار. أعتقد أنه أدرك أنه يصطدم بحائط بمطالبه بزيادة فورية فى الميزانية، لكنه فى الوقت نفسه غادر بروكسل مقتنعًا بأنه سيحصل على المزيد من المال بحلول العام الجديد.

عندما التقيتُ به فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك بعد بضعة أسابيع، ابتسم راضيًا. وسألني: «هل لا تزال الأموال تصل، يا أمين عام؟» أجبت : «سيدى الرئيس، الأموال تتدفق».

إذا كان بإمكانك القول إن حلفاء الناتو قد زادوا إنفاقهم الدفاعى بشكل ملحوظ بفضلي، فأعتقد أننا نستطيع الاتفاق

ترجمة: أسماء زيدان

بقلم: ينس ستولتنبرج

* الأمين العام السابق لحلف شمال الأطلسى ورئيس وزراء النرويج الأسبق والمقال مقتطف نشر فى الجارديان وهو مُحرر من كتاب، فى عهدي، قيادة الناتو فى زمن الحرب،